الفصل الأول

مدخل إلى دراسة التراث الإسلامي

إن دراسة التراث الإسلامي تعرضت لتحريف وتزييف كثير خلال مراحل التاريخ الإسلامي،وقد حصل ذلك بسبب اختلال مناهج النظر والتلقي والنقد والتمحيص في قراءة التراث ، وتسرب الأهواء وفساد مشارب أهل الأهواء الذين انتحلوا الغث من المعارف وجعلوها فكرا ودينا للأمة ، وكان من هؤلاء كثير من المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة والأدباء والقصاص والمؤرخين .

وقد نبه إلى ذلك المؤرخ الناقد شمس الدين السخاوي حيث قال : «وبالجملة فالمؤرخون كغيرهم من سائر المصنفين ، في كلامهم الخمير والعفين ، والسعيد من عدت غلطاته و اشتدت سقطاته ، فكل إنسان سوى ما استدركوا يؤخذ من كلامه ويترك ، وهي الدنيا لا يكمل فيها شيء ، ولا يخلو مصنف من نشر و طي . . . نعم قد ظهر الكثير من الخلل ، وانتشر من المناكير ما اشتمل على أقبح العلل ، حيث انتدب للتصنيف في هذا الفن الشريف من اشتمل على التحريف والتصحيف لعدم إتقانهم شروط الرواية والنقل وائتمانهم من لا يوصف بأمانة ولا عقل ، بل صاروا يكتبون السمين مع الهزيل ، والمكين مع المزلزل العليل» [(١)] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما الأصول فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء . قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال ، وبان لي أن كثيرا منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة على كل دين ولهذا قل أن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة مقبلا على مقولاتهم إلا وقد تزندق...فلما رأيت ذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم ، وقطع حججهم

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، لمن ذم التاريخ : ١١٢ .

وأضاليلهم ، أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ، وزيف دلائلهم ، ذبا عن الملة الحنيفية ، والسنة الصحيحة الجلية » [١] .

لذلك فإن تشخيص العلل ، وبيان مكامن الخلل ، والنظر في قواعد منهج دراسة التراث هي أولى الأولويات في تأصيل المعرفة الإسلامية ، وتصحيح الأصول والغايات قبل أي عمل آخر في مجال البناء الفكري والحضاري في الأمة .

أصناف الناظرين في التراث الإسلامي :

تأملت أحوال الناظرين في المعرفة الإسلامية فكرا ومنهاجا ، فإذا هم طائفتان : أهل نصوص وأثر ، وأصحاب رأي ونظر ، وضمن كل طائفة ألوان ومذاهب ، تباينت مواقفهم من التراث الإسلامي بين غلاة بالغوا في المدح والإطراء ، وعاشوا على التغني بالأطلال والأمجاد ، وجفاة من دعاة الحداثة تنكروا لتراث الأمة وأصالتها ، وأمعنوا في رفض كل تليد ، وأزروا بفكر السلف ، وفتنوا العوام ممن لا يميزون ولايعرفون ما يقبلون أوينكرون .

وبين هؤلاء صفوة من النمط الأوسط من العلماء النظار والمفكرين الأحرار ممن صفا لهم المشرب واستقام لهم المنهج ، هم حراس المعرفة الإسلامية وحماة النظر والأثر في هذه الأمة .

١ ـ التراثيون والتغني بالأمجاد :

التراثيون جيل من المقلدة وقفوا عند الأطلال والرسوم، ، وأصيبوا بداء الغلو في تمجيد التراث ، لأنهم عجزوا عن النقد والإبداع وقنعوا بالتقليد ، وسلموا الزمام ، ورضوا باجترار ما انتفخت به كتب الماضين ، وقالوا هل من مزيد ، يعيشون على المدح والإطراء والتغني بالأمجاد ، لايعرفون سوى التسليم بما قيل ، مما تقذف به أرحام الكتب ، فإنما هي زبر تدفع ، وعقول تبلع .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٥.

فهؤلاء قد غلب عليهم تقديس الماضي ، وإكبار صنائع المتقدمين ، فسلموا بالعجز عن بلوغ مداركهم ، وعطلوا في الأمة حركة الإبداع والنظر والاجتهاد ، ولم يروا للمتأخرين فضل علم ، أو مُكنة تجديد واجتهاد ، وقضوا بأنه ما ترك الأول للآخر شيئا .

يقول د . زكي نجيب محمود : «سلطان الماضي على الحاضر هو بمثابة السيطرة يفرضها الموتى على الأحياء ، وقد يبدو غريبا أن يكون للموتى مثل هذه السيطرة ، مع أنه لم يبق لنا منهم إلا صفحات مرقومة صامتة لا تمسك بيدها صارما تجلوه في وجوهنا» (١) .

وقد مثل هذا المنحى خلائق من الجامدين من مقلدة المذاهب وأصحاب المتون والحواشي والطرر ، وقفوا عند ألغازها وقوف ضنين ضاع خاتمه في التراب ، يشرحون غوامضها ويفكون رموزها ، ويضرعون إلى الله أياما في فهمها ، وكأنها وحي منزل .

قال صالح الفلاني عن أهل زمانه : «جعلوا دينهم الحمية والعصبية ، وانحصروا على طوائف . فطائفة منهم : خليليون ادعوا أن جميع ما أنزل على محمد ﷺ محصور في مختصر خليل!! فأنزلوه منزلة كتاب الله العزيز الجليل» (٢) .

وقد قدم هؤلاء صورة سيئة ونماذج قاتمة في تاريخ العلم و الفكر في الأمة ، و ابتلي الغرب الإسلامي بالنصيب الأوفر من هذا البلاء ، إذ نبغ فيه زعماء الغلو في الجمود والتعصب للمذاهب والرجال

قال الحجوي الثعالبي : «وحاصله أنه من زمن خليل إلى الآن زادت العقول فترة ، والهمم ركودا ، وتخدرت الأفكار بشدة الاختصار والإكثار من الفروع التي لا يحاط

(١) تجديد الفكر العربي للدكتور زكي نجيب محمود : ٥١ .

(٢) إيقاظ همم أولي الأبصار لصالح بن محمد الفلاني : ٢٦ .

بها ، والصور النادرة ، فاقتصروا على خليل وشروحه ، حتى قال الناصر اللقاني : إنما نحن خليليون ، إن ضل ضل ضللنا» قال أحمد السوداني : «وذلك دليل دروس الفقه وذهابه ، فقد صار الناس من مصر إلى المحيط الغربي خليليين ، لا مالكية ، إلى هنا انتهت الحالة» (١) .

وقد قسموا مختصر خليل أربعين حزبا ، وكان المغاربة إلى عهد قريب يسردون هذه الأحزاب في المساجد والزوايا كما يسرد القرآن .

وكان من أشدهم غلوا في ذلك أصبغ بن خليل المالكي الأندلسي الذي لم يكن يرى علما في الدنيا سوى ما في المدونة والمستخرجة ، فلما أدخل بقي بن مخلد مسند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة إلى الأندلس استشاط غضبا ، وكان يقول كما حكى عنه شيخ المالكية أبو عمرو السعدي « لأن يكون في كتبي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون فيها مصنف أبي بكر بن أبي شيبة» (٢) .

قال ابن العربي : « وبقيت الحال هكذا فماتت العلوم إلا عند آحاد الناس واستمرت القرون على موت العلم ، وظهور الجهل ، وذلك بقدرة الله تعالى ، وجعل الخلف منهم يتبع السلف ، حتى آلت الحال إلى أن لا ينظر في قول مالك وكبراء أصحابه . . وصار الصبي إذا عقل وسلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله تعالى ، ثم نقلوه إلى الأدب ، ثم إلى الموطأ ،ثم إلى المدونة ، ثم إلى وثائق ابن العطار ، ثم يختم له إلى أحكام ابن سهل ،ثم يقال : قال فلان الطليطلي ، وقال فلان المجريطي ، وابن مغيث لا أغاث نداه ، فيرجع القهقرى ، ولا يزال إلى وراء ، ولولا أن الله تعالى منّ بطائفة تفرقت في ديار العلم ، وجاءت بلباب منه كالقاضي أبي الوليد الباجي ، وأبي محمد الأصيلي ، فرشوا من ماء العلم على هذه القلوب الميتة ،

---

(١) الفكر السامي في تارخ الفقه الإسلامي : ٢/ ٢٤٥.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : ١ / ٤٣٤.

وعطّروا أنفاس الأمة الذفرة ، لكان الدين قد ذهب » [١] .

ومن جنس هؤلاء أهل بطالة واسترواح لا هم في العير ولا في النفير ، لا يعرفون شيئا يقبلونه أو ينكرون ، رضوا بالتفويض والتسليم ، وقنعوا بالرسوم وقالوا هل من مزيد . يعرفون الحق بالرجال ، ويتبعون الرأي لشهرة صاحبه ، أو لكثرة من قال به ، أما دلائل النظر ونخل المعارف فلا يميزون فيها قبيلا من دبير .

وقد صار على نهجهم أهل التسليم للرجال من أتباع الطرق الصوفية ، والحوزات الشيعية ، ممن اعتقدوا عصمة المشايخ والأئمة ، وأسلسوا الزمام لآرائهم وأهوائهم ، ورأوا أن «من قال لشيخيه : لم وكيف؟ لايفلح» .

ومن جهة هؤلاء العوام المقلدين لآراء الرجال انتشر في تراث المتأخرين وشاع بين الناس فكر الخرافة والتسليم بالأوهام والأساطير ، وتعطيل نعمة النظر في سنن الله الشرعية والكونية .

فراج بين العوام ، «أن سفينة نوح قبل أن تستوي على الجودي طافت بالبيت سبعا ، وصلت عند المقام ركعتين » [٢] .

وشاع بين المتصوفة أن فلانا من الأبدال كان يطير في السماء وآخر يسير فوق الماء ، وآخر يدخل النار ولا يحترق ، وآخر تُطوي له الأرض طيا ، فيصلي الظهر في المغرب ، والعصر في مكة . وأن السيد البدوي كان يستنقذ الأسرى من سجون

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون : ١/ ٦٦، نقلا عن العواصم من القواصم لابن العربي .

(٢) وهو خبر موضوع من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. عن الساجي قال : حدثنا الربيع، حدثنا الشافعي قال : قيل لعبد الرحمن بن زيد : حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال : «**إن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين؟**» ، قال : نعم . وقد ذكر رجل لمالك حديثا منقطعا، فقال : اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح!!

قال ابن حبان : «كان ممن يقلب الأخبار حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف، فاستحق الترك» تهذيب التهذيب لابن حجر (٦ / ١٧٩) .

الإفرنج وهو فوق سطح بيته بمدينة طنطا بمصر !!

وأمعن رواة الأساطير أمثال مؤمن بن حسن الشبلنجي ت ١٢٩٠هـ في الترويج للخرافات وبيان تسليم العلماء لمشايخ الطريق من الصوفية حيث ذكر في نور الأبصار حكاية غريبة مفادها : « أن ابن دقيق العيد كان ينكر على الشيخ أحمد البدوي ويقول : إن هذه الحال الذي أنت فيه ما هو مشكور ، فإنك لا تصلي ولا تحضر الجماعة ، وما هذه طريقة الصالحين ، فالتفت إليه السيد البدوي وقال : اسكت وإلا أطير دقيقك ، ودفعه دفعة فلم يشعر بنفسه إلا وهو في جزيرة واسعة لا يعرف لها طولا ولا عرضا ، فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها وهو ذاهل العقل ، ويقول مالي ومعارضة أولياء الله تعالى ، وصار يبكي ويستغيث ، ويبتهل إلى الله ، فبينما هو كذلك إذ رأى الخضر عليه السلام ، فصار ابن دقيق يبكي ويقبل رأسه ورجليه ، فقال له إن هذه الجزيرة تبعد مسيرة ستين سنة عن القاهرة ، فازداد هما وغما ، فإذا بيده أراه قبة كبيرة من ذهب ، وقال إن السيد البدوي يأتيها كل يوم يصلي فيها العصر بجماعة من الرجال ، فإذا صليت معهم فتعلق به ، وتملق بين يديه ، وقبل يديه ورجليه ، واكشف رأسك ، وتأدب معه ، وقل له أستغفر الله وأتوب إليه ولا أعود لما صدر مني ، قال : فدفعه الشيخ دفعة لطيفة ، وقال اذهب إلى بيتك فإن عيالك في انتظارك ، فلم يشعر ابن دقيق العيد إلا وهو واقف عند باب داره في مصر ، ومكث مدة لا يخرج من بيته» [(١)] . فصار ابن دقيق العيد كما زعموا مُعظما للسيد البدوي ، وظل موسوسا مصابا بداء الفالج بسبب ذلك كما زعموا إلى آخر عمره عمره .

وهذا كذب مكشوف ، ومحض خيال قبح الله واضعه ، فأي جزيرة هذه التي تبعد عن القاهرة مسيرة ستين سنة ، مع أن هذه المسافة لا توجد على وجه الأرض أصلا ، و كيف يقع في سنن الله أن تُخرق العوائد للدجالين بهذا الشكل ، حتى

(١) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي : ٢/ ٢٦٤ .

تصبح الأرض كالخاتم في أيديهم يعبثون بها ، كما يعتقد هؤلاء المجانين ، وعجيب أن يُروج هذا الغثاء في المنتديات الثقافية ، وينشر باسم العلم في مواقع الطرق الصوفية المعاصرة في مصر والشام وغيرها .

وذكر الشعراني : «أن الشيخ علي وحيش من مجاذيب النجارية كان يقيم في المحلة في خان بنات الخطأ « أي العاهرات » ، وكان كل من خرج يقول له قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج ، فيشفع فيه ، وكان يحبس بعضهم اليوم واليومين ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب في شفاعته» [١] .

وأن إبراهيم الدسوقي كان يتكلم سائر لغات أهل الأرض كما قال الشعراني : «وكان ﷺ يتكلم بالعجمي والسرياني والعبراني والزنجي ، وسائر لغات الطيور والوحوش» [٢] .

وشاع بين الشيعة : أن رجلا من النواصب تكلم في الحسين يوم مقتله في كربلاء فرماه الله بكوكبين من السماء وطمس بصره [٣] .

ونحو ذلك من الأساطير التي امتلأت بها كتب الشيعة والمتصوفة ، كروض الرياحين في حكايات الصالحين لليافعي اليماني ، ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني ، والإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ لأحمد بن المبارك ، وروضة الآس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من الصلحاء بفاس للكتاني ، وتطريز الديباج لأحمد بن بابا التنبوكتي ، وغيرها .

فعشش بذلك الجهل والتخلف في ديار المسلمين ، وأنس الناس بالركون إلى الجمود والتسليم بكل ما قيل ، وانفتح السبيل لأعداء الإسلام وخصومه المغرضين

---

(١) طبقات الصوفية للشعراني : ٢/ ١٤٩.

(٢) طبقات الصوفية للشعراني : ١/ ١٦٦.، ونور الأبصار للشبلنجي : ٢/ ٢٦٦.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٢٠٣.

للطعن في الدين ، والتسلل إلى حصونه لتخريبها من الداخل .

٢ـ دعاة الحداثة والثورة على التراث :

ويمثل هذا الاتجاه طائفة من العلمانيين من المفتونين ببريق الحداثة ، والاعتداد بسلطان العقل ، ومعارف الغرب ، مع الإزراء بعلوم السلف ، والتنكر لمآثر الماضين ، بدعوى تخلفها عن روح العصر .

وأكثرهم مردوا على المخاتلة والالتواء ، وانسلخوا من العلم والدين انسلاخ الأفاعي الرقطاء ، فصاروا يضاهون بسخافاتهم علوم الراسخين ، ويطاولون الأكابر في قلة حياء ، وقماءة دين ، وكبرياء صاغرين ، يزعمون بذلك تجديدا للتراث ، وتحديثا للمجتمع حتى يلحق بركب العولمة ، وحالهم مع هذه الشريعة كحال من جاء إلى شاطئ بحر خضم متلاطم الأمواج ، فبال في طائفة من الرمل ، ثم قال هذا بحر ثان فانظروا إليه!!

فتراهم يتحدثون عن هذا التراث بمنطق التجني لا التبني ، لانمحاء روح الهوية والأصالة من نفوسهم ، وسيطرة بريق الاستلاب على عقولهم ، وأكثرهم يرون أن الأمة إنما تستنسخ تاريخها وتعيش على أمجاد الآباء والأجداد بتبنيها لهذا التراث والدفاع عنه والبناء عليه .

وقد سخر من أمثالهم أديب العربية والإسلام مصطفى صادق الرافعي قائلا : «إنهم يريدون أن يجددوا كل شيء ، حتى الدين واللغة والشمس والقمر!!» [1] .

وقد صار لهم اليوم حنق عجيب على الشريعة وتاريخ الأمة وعلمائها ، فرفعوا عقائرهم بمنابذة التراث والمعرفة الإسلامية وأعلامها ، وهدم أحكام الشريعة وعزلها عن الواقع .

وقد مثل هذا الاتجاه جيل النكسة العربية من الكتاب والمثقفين والشعراء ممن

---

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة للشيخ القرضاوي : ١٣١ .

رضعوا ألبان الماركسية والقومية واللبرالية .

وكان أشدهم عُراما وشراسة وحُمقا «طه حسين» في كتابه «في الشعر الجاهلي» الذي كذب فيه القرآن ، وسفه التواريخ وكثر جهله وغلطه . . لأنه كان «متخلف الذهن تستعجم عليه الأساليب الدقيقة ، وأكبر ما معه أن يتحذلق ويتداهى ، ويتشبه بالمفكرين» كما قال الرافعي ~ [١] .

وقد دعا في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» إلى الانسلاخ من قيود الهوية ، والسير في ركاب الحضارة الغربية ، لنقض عرى الأصالة ، والارتماء في بحر المادية الغربية الموار بكل عجيبة وغريبة .

وقد وصفه الرافعي ~ بأنه : « دائب في إزالة ما وقر في نفوس المسلمين من تعظيم نبيهم وكتابهم مرة بالتكذيب ، ومرة بالتهكم ، ومرة بالزراية ، ومرة بإفساد التاريخ ، ومرة بنقل الأخلاق الفاحشة المتعهرة من حضارة الفرنسيين ، وهلم جرا ، حتى كأنه شيطان عاقبه الله فطمره في جلد إنسان» [٢] .

وكذلك شيخ العلمانية القديم جميل صدقي الزهاوي ١٩٣٦م ، الشاعر المتمرد ، الذي شك في وجود الله ، سئم كل قديم ، ودعا إلى اعتناق نظرية داروين ، وإلى الثورة على التراث والدين و التقاليد الإسلامية ، مختزلا تخلف المسلمين في حجاب المرأة المسلمة ، حيث قال :

سئمت كل قديم عرفته في حياتي إن كان عندك شيء من الجديد

وتبعه على ذلك خلائق أمثال : أدونيس في كتابه «الثابت والمتحول» ومحمد عابد الجابري في كتابه «نقد العقل العربي» ، وطيب تزيني في كتابه «مشروع رؤية جديدة للتراث العربي في العصر الوسيط» ، وكتابه «من التراث إلى الثورة» الذي قرر فيه من

---

(١) تحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعي : ٩ .

(٢) تحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعي : ٢٠١ .

خلال المنهج المادي التاريخ والتحليل الماركسي للتراث أن كتابات المستشرق الشيوعي كراتشفوفسكي صاحب القواعد التقدمية في قراء التراث الإسلامي «تشكل إسهاما جديا على طريق إعادة الاعتبار لذلك التاريخ والتراث الإسلاميين» [١] .

ثم حسن حنفي زعيم «اليسار الإسلامي» في كتابه «نحن والتراث» وغالي شكري في مؤلفاته «النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث ، وأقنعة الإرهاب ، البحث عن علمانية جديدة ، وأقواس الهزيمة ، وعي النخبة بين المعرفة والسلطة» .

وكذلك فرج فودة في مؤلفاته الساخرة بالتراث وأحكام الشريعة ، وفاطمة المرنيسي في كتاباتها عن التراث النسائي في التاريخ الإسلامي ، الممعنة في نقل أخبار الكذابين ، وغيرهم ممن يستغلون في تحريفهم وكذبهم جهل المسلمين .

ثم محمد عابد الجابري الذي عُني زمنا بإعادة قراءة التراث ، وتأثر بالمفكر الفرنسي «باشلار» فجمع أخلاطا ومزيجا إيديولوجيا لإعادة صياغة التراث حيث يقول : «اللغة والشريعة والعقيدة والسياسة في الماضي والحاضر تلك هي العناصر الرئيسية التي تتكون منها المرجعية التراثية التي قلنا : إنه لا سبيل إلى تجديد العقل العربي إلا بالتحرر منها» [٢] !! .

وأكثر هؤلاء العلمانيين ودعاة الحداثة قد تأثروا بخطاب جيل النكسة وهزيمة القوميين العرب بزعامة جمال عبد الناصر أمام إسرائيل عام ١٩٦٧م ، فصار لهم نقمة على الإسلام وتراثه ، وعلقوا هزائمهم وسقوط أقنعة مذاهبهم على مشجب الأصالة والماضي والتراث ، في حين لم يقدموا للأمة خيرا أوبديلا يشفع لكلامهم ،

---

(١) من التراث إلى الثورة، طيب تزيني : ٥٧٣ ط الثالثة بيروت ١٩٧٩م.

(٢) بنية العقل العربي لمحمد عابد الجابري : ٥٧٢ .

ويسوغ لدى العقلاء منطق الهجوم على الماضي عندهم ، بل كانوا كما هجاهم أحمد شوقي في قصيدته :

قم في فَمِ الدنيا وَحَيِّ الأَزهَرا ... وَانثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا
لا تحذ حذو عصابة مفتونة ... يرون كل قديم أمر منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا ... من مات من آبائهم أو عُمِّرا
من كل ساع في القديم وهدمه ... وإذا تقدم للبناية قصَّرا [1]

ونحن نعلم أن من وراء هؤلاء الحداثيين دوائر المكر الصليبية الحاقدة على الإسلام وأهله ، وأنهم لا يشتغلون بعزة نفس وبراءة دين طلبا للحق ، بل يساقون إلى ذلك سوقا كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة للنيل من الشريعة وأعلام الأمة ، يقارعون الجبال الراسيات لعلهم يحدثون بها خدوشا أو خموشا يلفتون إليها أنظار الناس . لكن أنى لهم ذلك .

٣ ـ المستشرقون والغارة على التراث :

المستشرقون أمة من الباحثين اشتغلوا بعلوم الشرق ، ودراسة تاريخه وبيئته وحضارته وأديانه وعاداته ، وكانت دوائر الاستشراق هي الجناح الفكري للصليبية الحديثة لتطويق الأمة ، وقد تخصص طائفة منهم في دراسة تاريخ المسلمين وتراثهم حتى نبغوا في ذلك ، كما تخصصوا في دراسة خبايا أحوال المسلمين ، وعاداتهم ، ومعايشهم ، وطرائق تفكيرهم .

من طالع جهود المستشرقين يأخذه العجب من جلد القوم وتفانيهم في خدمة مراميهم وأغراضهم في دراسة هذا الدين ، ويعجب في ذات الوقت من ضعف المسلمين وهوانهم في هذا الشأن .

يقول محمود محمد شاكر : « لقد كان المستشرقون جند المسيحية الشمالية ، الذين

(١) ديوان الشوقيات، لأحمد شوقي : ١/ ١٥١.

وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر ، ورضوا لأنفسهم أن يظلوا مغمورين في حياة بدأت تموج بالحركة ، والغنى والصيت الذائع ، وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختبئة وراء أكداس من الكتب ، مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها ، وفي قلوبهم كل اللهيب الممضي ، الذي في قلب أروبا ، والذي أحدثته فجيعة سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام» [1] .

وقد تتبع نجيب العقيقي جهود المستشرقين وإنتاجهم خلال ألف عام ، فبلغ ما كتبه مجلدين كبيرين . ومع الأسف فإنه ظل مخدوعا بالمستشرقين وتراثهم ، ولذلك عرض نتاجهم عرض الفرح الفخور غافلا أو متجاهلا ما سببه هذا التراث من خراب في العقول .

وقد تخرج من مدارس المستشرقين جيل خبير بما في ديار الإسلام قديما وحديثا ، متمكن من معرفة تاريخه وتراثه ، متمرس بأساليب التعمية والتحريف لحماية الغربيين المتطلعين ، ورعايا الكنيسة من أن يروا نور الإسلام على حقيقته ، حتى أضحى متخصصا في دراسة الشرق ، ماهرا بمعرفة أرضه ومياهه ، وجباله وأنهاره ، وزروعه وثماره ، وأهله ورجاله ، ودينه وعاداته ، ولغاته وثقافاته ليرتاد الطريق لجحافل الصليبية ، ويعبد أمامها المجاهيل .

ومن أشهر من كتب تراثنا وتاريخنا من المستشرقين : ألفردجيوم الإنجيزي محقق كتاب « كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني» ، وجولدسيهر المجري اليهودي ت ١٩٢١هـ صاحب «مذاهب التفسير الإسلامي » ، الذي ترجم إلى العربية باسم «العقيدة والشريعة في الإسلام» . والقس « صمويل زويمر»الأمريكي ، أحد غلاة المبشرين في الشرق ، وأستاذ البعثات و تاريخ الأديان في جامعة برنستون اللاهوتية ، والمستشرق لويس ماسينيون مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية ،

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر : ٧٣-٧٤.

وصاحب «حوليات العالم الإسلامي» والباحث في التصوف الفلسفي للحلاج وابن سبعين ، والمؤرخ مكسيم رودنسون الشيوعي الفرنسي الذي أتقن التركية والعربية ودرس التاريخ الإسلامي وألف كتابه «Mahomet» ، ومال إلى نقد الاستشراق الاستعماري في آخر حياته .

ومن تلاميذهم الأوفياء لمناهجهم ومداركهم : عزيز عطية سوريال المصري ، وفيليب حتى اللبناني الأصل الأمريكي الجنسية ، ومجيد قدوري النصراني العراقي ، وجرجي زيدان ، وطه حسين وسلامة موسى ، وغيرهم . وقد تلونت مناحيهم في تشويه تاريخنا وتراثنا بتلون مذاهبهم وأغراضهم

فسلك بعضهم مسلك الحقد الصريح ، ولم يتورع في إظهار عدائه وحقده على الإسلام وأهله أمثال المستشرق الفرنسي «دير بيلو» الذي وصف الرسول ﷺ بأنه كان «دجالا» و«هنري لامانس» الذي وصفه بأنه كان «لص نياق» ، ثم «فيتزجيرالد» الذي ادعى «أن الشريعة الإسلامية ماهي إلا قانون جستنيان الروماني في لباس عربي» [(١)] .

وقد كشف أهداف غلاة المستشرقين في الشرق القس زويمر في خطابه بمؤتمر القدس عام ١٩٣٥ م حيث قال : «ولكن مهمة التبشير الذي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ،وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية» [(٢)] .

---

(١) الاستشراق والمستشرقون لمصطفى السباعي : ٤٤٤٥. بلوغ الأماني في تاريخ الفقه الإسلامي للمؤلف : ١٢.

(٢) خطاب القس زويمر في مؤتمر في القدس عام ١٩٣٥م .

ومنهم من تدثر بالمظهر العلمي ، واتسم بسمات التحقيق كالعلماء الباحثين ، ليدس في الاسلام مايشاء من السموم ، أمثال «جولدسيهر» الذي ادعى أن الأحاديث ليست من كلام الرسول ﷺ ، وإنما صنعت في القرون الثلاثة الأولى ، وأن الأحكام الشرعية لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الأول ، بل كان الجهل بها وبتاريخ الرسالة لاصقا بكبار الأئمة ، كأبي حنيفة الذي لم يكن يعرف هل كانت بدر قبل أحد أم بعدها . !!

كما اتهم عثمان بأنه أحرق المصاحف التي كانت بأيدي الصحابة ليتسنى له التحريف والعبث بالمصحف الإمام الذي دونه وجمعه ، واتهم الزهري الذي أجمعت الأمة على أمانته بأنه كان يضع الحديث لبني أمية ، وأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى محاباة وتزلفا لعبد الملك بن مروان ، ضد ابن الزبير الذي اعتصم بمكة . مدعيا في كل ذلك التجرد والموضوعية واتباع المنهج العلمي ، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سنين من موت ابن الزبير .

كما وُجد من المستشرقين رجال منصفون ، لكنهم قليلون ، وإنصاف هؤلاء كان يدفعهم إلى الإيمان ، حيث أعلن بعضهم إسلامه أمثال المستشرق «رينيه جون» الذي أسلم وتسمى باسم «ناصر الدين رينيه» ، وفضح كثيرا من خطط المستشرقين . و«إبراهيم خليل أحمد المصري» الذي أراد أن يقدم رسالة دكتوراه في بيان تناقضات الإسلام فغلبه القرآن وأعلن إسلامه ، وكتب كتابا بين فيه الطريقة التي يعمل بها المبشرون والمستشرقون والجهد الذي تقوم به الكنائس في مصر .

وأكثر المستشرقين الذين اشتغلوا بالدراسات العربية الإسلامية كانوا من اليهود والنصارى الذين تملكت نفوسهم الروح الصهيونية والصليبية في بحث ودراسة تاريخ وتراث العالم الإسلامي وحضارته ، فصارت تؤلمهم الحقائق عندما تتبدى وتظهر .

كل ذلك ظل رصيدا متراكما لدى هؤلاء المستشرقين ، وكون عندهم صورة قاتمة مظلمة عن هذا الدين الذي سفه أحلامهم وكشف زيف أديانهم ، فمهما ادعوا التجرد والموضوعية طفت تلك الأحقاد المتراكمة عبر تاريخ طويل من الحروب الصليبية ، وحروب اليهود ضد الإسلام فحالت دون البحث بعين الحق والبصيرة ، وحلت محلها الأهواء .

والحاصل أن هذيان المستشرقين في تفسير وتشويه التراث الإسلامي لا يقام له وزن ، بل يرمي في كل وعر وحزن ، ولانرى شيئا من ذلك يستحق المناقشة في عصرنا هذا ، لأنه لا يستند إلى أدلة علمية ظاهرة ، بل مستنده الأهواء والحقد الصليبي الأسود ، فهو كصرير باب ، أو طنين ذباب ، مضى يمضي زمانه .

٤ـ المتطفلون النكرات والجرأة على التراث :

وهم خلق من النكرات والجرأة على المعرفة الإسلامية ، وهم قاصمة الظهر ، أكثرهم من طحالب الفكر التي تطفو على السطح بين الفينة والأخرى ، و المجاهيل الذين لم يعرفوا بطلب العلم الشرعي في أنفسهم ، ولا عرفهم العلماء به .

تراهم يضاهون علوم الراسخين ، ويحشرون أنفسهم فيما لم يتأهلوا له من الرد على المتقدمين بدعوى أن القوم رجال ونحن رجال ، ويشتغلون بالتنظير قبل التأصيل ، فيأتون بكل عجيبة وغريبة ، بأفكار نشاز ، ورؤى عليلة ، لم تعتصم بعلم ولم تأو إلى ركن وثيق ، يضاهون بها صحيح المعرفة الإسلامية ، في قماءة دين ، وكبرياء صاغرين ، يستنبتون بذلك بقلا غثا في قيعان كدرة ، بجانب بحر علوم أهل الإسلام .

وقد شقيت الصحافة العربية في مصر والشام منذ زمن مبكر بأفكار هؤلاء المتشبعين بما لم يعطوا ، كما شقيت بهم الصحافة المغربية عندنا ، لاستشراء الجهل والعماية بين القوم ، وفشو الرعونة وصفاقة الوجه ، وقلة الحياء بين هؤلاء المشاغبين على الفكر الإسلامي .

اقرأ صحافة الأحداث والسخافات الفكرية والسياسية ضمن جرائد من لا جريدة له ترى جرأة على العلم والدين ، ووقاحة تطاول السماء سفاهة ، وتفاخر إبليس في الاستهزاء بنصوص القرآن والسنة ، والإزراء بعلماء الأمة ، والحط من مكارم الإسلام .

وما يزال دعاة الحداثة وأساتذتهم من المستشرقين اليوم بجامعات الغرب يحرفون المعالم المشرقة في التراث الإسلامي ، ويتتبعون السقطات والنقط المظلمة من تراث المتصوفة ، والقرامطة ، وجهالات الرافضة ، والإسماعيلية الباطنية ، والبابية والبهائية ، والأكاذيب والترهات والأساطير والخرافات المدسوسة في التاريخ الإسلامي ، وإحيائها للتشويش على الفكر الإسلامي المصفى الذي يضطلع بنشره اليوم علماء الصحوة الإسلامية .

ومن هذا النمط في مصر نوال السعداوي التي لا تعرف ما يعرفه صبيان المكاتب في أمور الدين ، ثم تراها تتطاول على مصادر الشريعة ، وتستهزيء بأحكامها ، وترى أنه ليس ثمة نص في القرآن يحرم السفور ، وتمعن في تزوير الحقائق والإزراء بالمقدسات .

وكذلك المستشار « محمد سعيد العشماوي » الذي فتن خلقا من المتفرنجين بكتاباته السخيفة عن الإسلام السياسي ، ولم يزل دائبا في نقض عرى الملة ، وهدم أركان الفضيلة ، ونسبة كل نقيصة للمسلمين ، بأدلة متهافتة جوفاء ، لا سند لها في تاريخ النظام الإسلامي .

وهو رجل نكرة في علوم الشريعة ، تخرج من كلية الحقوق عام ١٩٥٥ وعاش حياته متقلبا في وظائف الدولة ، بين محاكم القاهرة والإسكندرية ، ورئاسة محكمة أمن الدولة ، واشتغل محاضراً في أصول الدين والشريعة والقانون في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وجامعة توبنجن بألمانيا الغربية ، وأوبسالا بالسويد ، ومعهد

الدراسات الشرقية بليننجراد بروسيا ، والسوربون بفرنسا .

يقول عن نفسه بأنه نشأ نشأة صوفية! حيث كان يرتاد مسجد السيدة زينب والسيدة نفيسة ومسجد الحسين!

واشتغل زمنا بتأليف رسائل فلسفية منذ عام ١٩٦١م مثل «تاريخ الوجودية في الفكر البشري ، وضمير العصر ، وحصاد العقل» . ثم تولج بغير عُدة مجال الفكر الإسلامي عام ١٩٨٠م فألف «أصول الشريعة» ، و«الإسلام السياسي» ، و«جوهر الإسلام» ، و«الخلافة الإسلامية» ، و«الشريعة الإسلامية والقانون المصري» وغيرها .

ويعد العشماوي من دعاة العلمانية المنادين بفصل الدين عن الدولة ، في ظل المدرسة العلمانية الحديثة ، وقد كرس حياته للتشنيع على نظام الحكم الإسلامي ، والتهجم على دعاة تطبيق الشريعة .

و يزعم العشماوي في صفاقة وجه وقلة حياء ، أنه من المجتهدين!! حيث يقول : «وأعتقد أنه يوجد الآن تياران إسلاميان وليس واحداً ، التيار الأول : عقلي تنويري ، بدأ بمحمد عبده ، ويسير فيه بعض المجتهدين من أمثالي »[(١)] .

ومن غرائب اجتهاداته العلمانية السخيفة زعمه أن اليهود والنصارى من أهل النجاة يوم القيامة وإن لم يؤمنوا بالإسلام!! حيث يقول : «وكل من آمن بالله إيماناً صحيحاً واستقام في خلقه فهو عند الله وبلفظ القرآن مسلم لا خوفٌ عليه ولا حزن : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢]» .

غير أن بعض الفقهاء يرون أن هذه الآية منسوخة بالآية : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ

(١) حوار حول قضايا إسلامية، إقبال بركة، : ١٩٩ .

دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥] ، ويرتبون على ذلك ـ وعلى الظن بأن الإسلام مقصور على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ـ إن أي إيمان بالله لا يؤجر وأي عمل صالح لا يثاب إلا إذا كان فاعله من المؤمنين بدعوة النبي الكريم وبرسالته» [(١)] .

ثم يردف قائلا : « والواقع أن من يرى هذا الرأي إنما يراه وقد غاب عنه المعنى الحقيقي للإسلام ، وخفيت عليه خطة الله في البشر ، واضطرب في ذهنه معنى النسخ في القرآن ، فالإسلام هو الدين الذي أوحى به الله إلى الأنبياء جميعاً والرسل كلهم فدعوا إليه . . فإن من آمن بالله وعمل صالحاً من المؤمنين أو اليهود أو النصارى فأجره عند الله ، لا خوف عليه ولا حزن . والمقصود من آية : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥] ، من يبتغ غير دين الإسلام الذي دعا إليه كل الأنبياء والرسل والذي اعتنقه أتباعهم » [(٢)] .

وهذه عقيدة فلاسفة وحدة الأديان التي دعا إليها ابن عربي الحاتمي ، انبعثت من جديد بخطة استعمارية لتمتص الاحتقان ضد الصهاينة والصليبيين وتخفف العداء لهم في بلاد المسلمين ، وقد صار يروج لها اليوم أذناب المستشرقين ونوابهم في البلاد العربية أمثال العشماوي ، ومحمد أركون ، وفرج فودة وحامد نصر أبو زيد .

ومن بلاياه إسقاطه حد شرب الخمر حيث يقول العشماوي : «لا توجد أية عقوبة على شربها أو بيعها ، لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية» ثم يقول : «إن العقوبات تزيد من عدد الجرائم ، ولا تجتث الجريمة أصلاً » [(٣)] .

وهذ غاية السفه والجرأة على النصوص بل يرى «أن تطبيق الشريعة يهدف إلى

---

(١) جوهر الإسلام، للعشماوي : ١١٠ .

(٢) جوهر الإسلام، للعشماوي : ١١٠ .

(٣) الإسلام السياسي، ص٥١ .

تفتيت وحدة الشعب وإلى إظهار الإسلام بصورة سيئة . . وأن الشريعة تعني الطريق والسبيل ، ولا يلزم الأخذ بنصوصها؛ لأن مبنى الشريعة يقوم على الروحانيات! وللناس أن يطبقوا ما يشاؤون »[١] .

وقد خصص العشماوي كتابه «الإسلام السياسي» لإثبات وجوب فصل الدين عن الدولة ، لأنه حسب زعمه لاسياسة في الإسلام ، مدعياً «أن النبي ﷺ لم يحكم الناس كملك أو أمير أو رئيس أو سلطان وإنما حكمهم كنبي من الله»[٢] .

وعليه فإنه ليس ثمة حكومة دينية تقوم على شريعة الإسلام؛ لأن ذلك في زعمه خاص بالنبي ﷺ حيث يقول : « فالخلافة الإسلامية من واقع نشأتها . . ظهرت كرياسة دنيوية وإمارة واقعية لا تؤسس على نص ديني ولا تقوم على حكم شرعي»[٣] .

وقد أمعن في تشويه تراث الحكم الإسلامي وزعم : «أن تاريخ الإسلام تاريخ دموي قمعي! وأن الفقه الإسلامي يخلو من أي نظرية سياسية أو نظام سياسي ، وأن الغالب على اعتناق الناس الآن إسلام البداوة ! لا إسلام الحضارة »[٤] .

وهذه شنشنة دعاة الحداثة الذين يرون أنفسهم فلاسفة التقدم والرقي الحضاري ، ويرون غيرهم من المسلمين أعرابا بداة يعيشون في عصور الظلمات والرجعية

---

(١) الشريعة والقانون المصري، مجلة أكتوبر، العدد ٧٠٦، والمجلة العربية مقال : العشماوي بين حرية الفكر وحرية الكفر، للأستاذ أحمد أبو عامر، شعبان ١٤١٢هـ).

(٢) الإسلام السياسي : ٩٠.

(٣) الإسلام السياسي : ١٠٢.

(٤) انظر : العقلانية هداية أم غواية، لعبد السلام البسيوني، ص١٢٥، وقد رد عليه كثير من العلماء منهم الشيخ الشعراوي في «الأنوار الكاشفة لما في كتاب العشماوي من الخطأ والتضليل والمجازفة »، ومحمد عمارة في مقالات عدة .

والتخلف !!

وتراه يستنكر على من يدعي نقاء وصفاء تاريخ الخلافة الإسلامية الراشدة ويزري بعهودها ويهون من شأنها ، بدعوى أنه يمكن أن تسير أمورنا دون حاجة إليها [١] .

وقد حمله ذلك على الطعن في سياسة أبي بكر ﷺ بأنه اغتصب حقوق النبي ﷺ عندما طلب من المرتدين أداء الزكاة التي يسميها الإتاوة أو الجزية !! وأن طلب الزكاة من المسلمين في زعمه خاص بالنبي ﷺ مقابل صلاته عليهم [٢] .

واتهم العشماوي لأجل ذلك أبابكر ﷺ بالاستبداد والتسلط ، حيث قال : «وقد سوَّغ تصرف الخليفة الأول أبي بكر الصديق لكل خليفة وأي حاكم أن يستقل بتفسيره الخاص لآيات القرآن ، ثم يفرضه بالقوة والعنف على المؤمنين ، ويجعل من رأيه الشخصي حكماً دينياً ، لقد قنن الخليفة الأول بحروب الصدقة إشهار سيوف المسلمين على المسلمين » [٣] .

وقد أمعن العشماوي في هذا التجني على التراث وتاريخ الإسلام بالطعن في عثمان وعلي { ، حيث قال : «ولم يقتصر الفساد على عهد عثمان وعلى الأمويين وحدهم ، بل حدث كذلك في عهد علي بن أبي طالب» [٤] .

ومن فواقر العشماوي زعمه أن أحكام الشريعة في المعاملات مؤقتة ، لا استمرار لها ولا خلود ! يقول : «إن المؤبد في أحكام القرآن ما تعلق منها بالعبادات ، أما

---

(١) الإسلام السياسي : ٣٠ .

(٢) الإسلام السياسي : ١٠٦ .

(٣) الإسلام السياسي : ١٠٦ .

(٤) الإسلام السياسي : ١١٣ .

أحكام المعاملات فهي وقتية» [١] .

وذلك حتى يسوغ دعواه الباطلة في مشروعية التعامل بالربا ، واستباحة الفائدة في المعاملات المالية . والرجل نموذج لدعاة الحداثة وأهل الجرأة والتجاسر على الشريعة بالكذب والتحريف دون عدة!!

وآخر من لز في هذا المضمار في زمن الحداثة كاتبة علمانية مأجورة في المغرب تدعى «خديجة البطار» ، تولجت بابا من العظائم ، بالطعن في الأكابر ، و أصبحت السنة النبوية معها في زمن التيه الثقافي كلأ مباحا يلغ فيه كل جاهل ، ويستبيحه كل دعي .

فمن الهجوم على أعلام الأمة كالإمام القرطبي وفقهاء المالكية إلى مهاجمة الإمام البخاري والطعن في صحيحه ولعنه على رؤوس الأشهاد ، في مقالها «البخاري كان بينه وبين الحق حجاب» [٢] .

وهذه المغبونة لا تصلح أن تكون شسعا لنعل الإمام البخاري أيام كان يقطع المفاوز في الآفاق لطلب الحديث وتحقيق الأسانيد على شيوخ عقمت أرحام نساء هذا الزمان أن تأتي بمثلهم .

كما نشرت مقالا بعنوان « فجور فقيه ومالكيون بغير مالك» هاجمت فيه الإمام القرطبي المالكي المفسر ، وبنت وابل سخائمها وشتائمها له ولعلماء المالكية على خبر باطل لم يصح عن علي ﷺ نقله القرطبي في التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ،

---

(١) حوار حول قضايا إسلامية إقبال بركة، ص١٩٠.

(٢) جريدة الأحداث المغربية، عدد ٢٣ مارس ٢٠٠٢م. وانظر تفصيل الرد عليها في رسالة «االتشيع والعلمانية بالمغرب والهجمة على السنة النبوية» د.الحسن العلمي، ود.توفيق الغلبزوري، بتقديم العلامة محمد الأمين بوخبزة الحسني وكتاب « فتح الباري في الرد على المفترية على صحيح البخاري» للأستاذ. الزبير دحان.

وهو ما نسب إليه أنه قال : « أيها الناس لا تطيعوا النساء و لا تدعوهن يدبرن أمرا يسيرا ، فإنهن ان تركن وما يرين أفسدن الملك ، و عصين المالك ، وجدناهن لادين لهن في خلواتهن ، ولأروع لهن عند شهواتهن ، اللذة بهن يسيرة ، و الحيرة بهن كثيرة ، فأما صوالحهن ففاجرات ، وأما طوالحهن فعاهرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات» [(١)] .

وهذا خبر سمج لا أصل له ولا يظن بمن صحبوا النبي ﷺ أن يتفوهوا بمثله ، لما فيه من القذف والرجم بالغيب ، وتعميم الحكم بفساد النساء جميعا ، مما لم تأت به الشريعة ولم يكن من هدي السلف ، وكيف يظن ذلك بصهر رسول الله ﷺ وزوج فاطمة الزهراء سليلة بيت النبوة [(٢)] .

وهذه النكرة حشرت أنفها في صنائع المحدثين النقاد دون عدة وأوهمت نفسها أنها تجري في مضمار أبي الحسن الدارقطني ، وأبي علي الجياني ، وابن القطان الفاسي ، وابن حجر ، وهي لم تشم لعلم الحديث رائحة ، كما ظهر بذلك جهلها في مقالاتها السخيفة!!

حيث ادعت أن علماء الأمة « أظهروا في أمهات الكتب بأن البخاري يعد رمزا لفقه التطرف واللاعقل [(٣)] في الإسلام ، فقد عمل في صحيحه على إعدام مبادئ الديمقراطية والشورى والتنوير التي نصت عليها السنة والكتاب ، كما عمل على نشر أحاديث الخوارج والغلاة الذين يسبون عليا على المنابر ونشر الإسرائيليات

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ، للقرطبي : ٨١٨.

(٢) ضعفه السخاوي في «المقاصد الحسنة» ٤٥٨، والعجلوني في سياق الحديث الموضوع « عقولهن في فروجهن» وقال في المقاصد لا أصل له ولكن حكى القرطبي في التذكرة عن علي : ثم ساق الخبر » كشف الخفاء : ٢ / ٨١.

(٣) وهذه كلمة هجينة لا وجود له في معاجم العربية.

والموضوعات»[١].

وانتظرنا أن تثبت لنا صاحبة المقال أسماء بعض العلماء الذين أظهروا في أمهات كتبهم أن البخاري كان كذلك، وأنه كان يروي الموضوعات والإسرائيليات، فما وجدنا سوى الكذب والبهتان والضحك على الأذقان، ومحاولة استغلال جهل بعض المسلمين لترويج مثل هذا الكذب عليهم، وهذا الهذيان والفشار لم يعرف من نطق به قبلها سوى بعض المستشرقين الحاقدين على السنة.

وهذه المغبونة في حظها أعياها البحث أن تأت بدليل واحد على خطتها الفاجرة، يصدق دعواها الكاذبة، وأنا على يقين أنها على إياس من ذلك، ولو سودت وجهها بالمداد، فما هي إلا خيانة الأمة في دينها وسنة نبيها، والكذب على العلماء، وإلقاء الكلام على العواهن دون حجة أو برهان، لعلها تجد آذنا صاغية في سوق العوام والأغفال.

٥ـ العلماء والمفكرون النقاد ونخل التراث:

وجد في هذه الأمة صفوة من العلماء والمفكرين النقاد ممن لم يخل منهم عصر من العصور، عاشوا لخدمة هذه الأمة وتراثها باستيعابه ونخله، ثم البناء عليه وانتقاء النافع منه، وكان من هؤلاء أئمة الحديث ونقاد الأثر، وعلماء الفقه والأصول أئمة النظر.

وقد سار على نهجهم طائفة من المتعلمين على سبيل النجاة ممن فهموا حسن الفهم عن الله ورسوله ﷺ وأدركوا المنهج السليم في النظر والتفكير، وتمكنوا من صناعة النقد والتمحيص، وفقه مدارك الخلاف ومنازله وآدابه.

وهؤلاء نظروا إلى التراث الإسلامي على أنه ميراث علمي وأدبي لأمة أصيلة،

---

(١) مقال البخاري كان بينه وبين الحق حجاب جريدة الأحداث المغربية، ٢٣ مارس ٢٠٠٢، ص: ١١.

ذات تاريخ وهوية كريمة الأصول ، عريقة الجذور في التاريخ والحضارة ، فميزوا فيه الأصيل من الدخيل ، والصحيح من السقيم ، وسلموا بأنه لا يؤخذ كله ولا يترك كله ، وأنه لا حاضر ولا مستقبل لأمة ضيعت تراثها وتنكرت لتاريخها ، فصارت لقيطة هجينة بين الأمم ، فهم الخلف العدول في هذه الأمة ينفون عن المعرفة تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

صنيع السلف في النقد والرد على المتقدمين :

وقدكان للسلف في صناعة نقد المعارف والآثار قدم راسخة ويد صالحة ، فهم أول من فتح هذا الباب ، وفتق ذاك الجلباب ، فهم حماة السنن والآثار ، وصيارفة نقد المذاهب والأفكار .

فقد صنف الخطيب كتابا في الرد على البخاري ومسلم في تواريخ الرجال أسماه «موضح أوهام الجمع والتفريق» ، ومما قال فيه : «ولعل بعض من ينظر فيما سطرناه ويقف على ما لكتابنا هذا ضمناه ، يلحق سيء الظن بنا ويرى أنا عمدنا للطعن على من تقدمنا ، وأنا يكون ذلك وبهم ذكرنا وبشعاع . ضيائهم تبصرنا ، وباقتفائنا واضح رسومهم تميزنا ، وبسلوك سبيلهم عن الهمج تحيزنا ، وما مثلهم ومثلنا إلا ما ذكر أبو عمرو بن العلاء : « ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال» [(١)] .

ثم قال : «ولما جعل الله تعالى في الخلق أعلاما ونصب لكل قوم إماما ، لزم المهتدين بمبين أنوارهم ، والقائمين بالحق في اقتفاء آثارهم ممن رزق البحث والفهم ، وإنعام النظر في العلم ، بيان ما أهملوا ، وتسديد ما أغفلوا ، إذ لم يكونوا معصومين من الزلل ، ولا آمنين من مقارفة الخطأ والخطل ، وذلك حق على العالم للمتعلم ، وواجب على التالي للمتقدم » [(٢)] .

---

(١) موضح أوهام الجمع و التفريق، للخطيب البغدادي : ١/ ٥.

(٢) موضح أوهام الجمع و التفريق : ١/ ٦.

وقال الذهبي «وما زال العلماء قديما وحديثا يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف ، وبمثل ذلك يتفقه العالم ، وتتبرهن له المشكلات ، لكن في زماننا قد يعاقب الفقيه إذ اعتنى بذلك لسوء نيته ، ولطلبه للظهور والتكثر نسأل الله حسن الخاتمة وإخلاص العمل» [(١)] .

ومن ثم فالفكر الإسلامي الصحيح لا يخلص ويستقيم لهذه الأمة إلا بعد غربلة ونخل تراث الأسلاف ، وتمحيص النافع والصالح منه لزماننا ، حتى يسلم التنظير ، ويستوى البناء عليه ، فيتصل الحاضر بالماضي والمستقبل في حلقات علمية وحضارية متماسكة ، لاترى فيها شذوذا ولا اعوجاجا أو خروجا عن الجادة .

وهذا يرتبط بقواعد منهجية في تاريخ الفكر والتراث الإسلامي ، وإدراك معالم المنهج السوي في تأصيل المعرفة ، وهي جملة قضايا منهجية تدور في فلكها هذه الرسالة ، أهمها مايلي :

١ ــ إعادة النظر في مناهج قراءة التراث :

إن أزمة الأمة اليوم أزمة فقه ومنهاج ، قبل أن تكون أزمة صدق وإخلاص ، وواجب الوقت اليوم يقتضي إعادة قراءة التراث قراءة علمية سليمة من الشوائب والأخلاط ، في الوسائل والمقاصد .

وذلك يقتضي أولا إعادة النظر في مناهج قراءة هذا التراث الفكري ، الذي صار له تجذر و امتداد في تفكير المسلمين اليوم ، حتى يكون منطلقنا في النظر والتفكير سليما ، فنميز الأصيل من الدخيل ، إذ لا يليق أن نتجاوز هذا الميراث الحضاري الذي ورثناه عن أسلافنا ، وننطلق من فراغ ، إلا أن يكون ذلك سفاهة وتجاهلا لجهود المتقدمين ، لن يفضي بالأمة إلى شيء .

ومعلوم أنه لا يتم ذلك على وجه سليم إلا مع سلامة المقاصد وسداد المنهاج ،

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٢/ ٥٠١.

باعتماد قواعد النقد وأصول منهج النظر عند علماء الأمة المعتبرين من أئمة الحديث والأصول الذين تمرسوا بنقد المعارف والآثار ، واعتماد هذا المنهج الأصيل هو المخرج من تيه النظريات الزائغة والمناهج المنحرفة ، حتى لا تكون دراستنا للتراث دراسة تقديس واجترار لما قيل وكتب .

فإن من انحرف من فرق الضلالة في العقيدة والسلوك لم يؤت من جهة الإخلاص ، وحسن النية ، وإنما أتي من سوء الفهم والتأويل ، وفساد المنهاج ، فأكثر هؤلاء لم يعدموا صدقا ولا إخلاصا ، ولكن غابت عنهم قواعد الفهم ، واختل لديهم منهج النظر والمعرفة ، فقالوا بالأوهام ، وما دخل عليهم من البلاء كان من جهة تعلقهم بأفكار ونظريات فكرية نشاز من بنات سوء الفهم والتأويل أو سوء الوضع والتنزيل ، مما لا أثارة له من دليل ، أو سند من فكر عصر التنزيل .

فاشتغل هؤلاء بجدل تافه حول قضايا ميتة من التراث الدخيل ، هي من باب علم لا ينفع وجهل لا يضر ، وكثر فيهم التشنج لآراء بالية ، والتعصب للمذاهب والفرق والجماعات ، حتى رفعوها إلى مقام المقاصد والغايات ، وصار الولاء فيها والبراء .

وهي أهواء مزقت وحدة المسلمين ، وجعلتهم طرائق قددا ، من شيعة ، وصوفية ، وأصحاب ظاهر ، وأصحاب حقيقة ، يتعلقون بآراء الرجال فطمع فيهم الأعداء ، وصارت أغلب بلاد الإسلام بسبب تخلفهم ذيلا وذليلا تابعة لأئمة الكفر ، تستجدي قوتا ومعرفة ، ولا تملك قوة ولا قرارا .

ثم إنه اجتمع اليوم في طوائف المتأخرين من دعاة القومية والحداثة والعلمانية ما تفرق في أسلافهم من قبل ، من سوء المقاصد ، وفساد المناهج ، وضلال المشارب ، فطم السيل على القرى .

ولو حسن الفهم ، وسلمت النيات والمقاصد ، واستقامت المناهج ، وتميز الغث

من السمين ، وتحررت محال النزاع ، وسكت من لا يعلم لقل الخلاف ، واستراحت الأمة من عبء كثير تنوء بحمله وليس تحته عمل ، أو فائدة ترجى ، وسلامة المنهاج سبيل السداد .

٢ـ نقد المعرفة وتمييز الأصيل من الدخيل :

وذلك سبيل تصفية المعرفة الإسلامية مما علق بها من الحشو واللغو وحثالة والفكر الذي لا صلة له بالإسلام ، فاللازم أن يميز الناظر في قراءة التراث بين ما هو إسلامي أصيل ، وما هو دخيل على المعرفة الإسلامية ، منتسب إليها ، مما أدخل على المسلمين بالتمحل والتعسف ، مع أنه لا يمت إلى الأصول بصلة ، وذلك حتى تستريح الأمة من حمل الأوزار .

إذ لا يسلم المشرب للعقل المسلم ولا يصح بناؤه و«إعادة تشكيله» إلا بمنهج التصفية المستفاد من مناهج العلوم الإسلامية ، وهو خلاصة مراس لأهل الصناعة ، من المحدثين والفقهاء الأصوليين ، حراس المعرفة من مكذوب الأثر وشبهات النظر .

ويتجلى هذا المنهج في موازين نقد التراث وآراء الرجال ، التي تكون «نسق المنطق الإسلامي» الذي يعصم الفكر من الخطأ والزلل ، واستمداده من «أصول العقيدة ، وقواعد العربية وعلم أصول الفقه ، وقواعد الجرح والتعديل ، ومقاصد الشريعة» وهي علوم من لم يتمرس بها لم يدرك المنهج السليم للاستفادة من التراث ، و لا يكاد يسلم فهمه للإسلام بل أن يفكر و ينظر للأمة ، لأنه لن يأمن من الدخيل ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

وإنما يقوم بهذا المشروع من علت همته من حملة العلم المتمرسين بعلوم الأثر ، وأئمة الأصول ممن أحكموا إبريز العلم وإكسير النظر ، وتمرسوا بنقد المعارف والعلوم الحادثة في الملة ، فتلقوها بأعين ناقدة ، وعقول مبصرة نافذة ، ونخلوا دقها وجلها ، وميزوا غثها و سمينها .

كما قال النبي ﷺ : «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**» [(١)] .

ومن تصفح مؤلفات الخطيب البغدادي وابن عبد البر والجويني وابن حزم وابن الجوزي والذهبي وابن تيمية وابن القيم والشاطبي والشوكاني وجد صدق ما قررناه ، وظهر له أن نخل المعرفة لا يكون إلا لمن كان على مثل نهج هؤلاء الأعلام ، وتمرس بصنائعهم .

وأما أهل الإسترواح القانعون بالتقليد الراضون باستهلاك ما في زبر الأولين ، فدونهم ودون ذلك خرط القتاد ، وصعود السماء ، لأنه أمر لا يسلم إلا لمن تعلم أن يقول : لم ؟ وكيف ؟ وأنى ؟ ومتى ؟

فذاك علم نقد المعارف والآثار علم صلف لا يسلس قياده لبليد ، ولا ينقاد إلا لمن تمرس بصناعة أهل الحديث والنظر بجريعة الذقن ، مع الغصص بها برهة من الزمن ، حتى يختلط هذا العلم بلحمه ودمه ، ويصير له فيه ملكة يغربل بها الغث من السمين ، و يميز في كتب التراث الشمال من اليمين .

أما من ولع بتقليب صفحات ، وترديد كلمات ، وتسويد ورقات ، بما اتفق ، من صحيح وسقيم ، أو بهرج زائف وثمين، ، فليرح نفسه من الكلال ، فإنما عمله تخسيركاغد ومداد ، وتعن في غير عائد ، وتضييع عمر وزمان ، وتعب حيوان ، والله المستعان .

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار : ٣٢٦٩، والطبراني في مسند الشاميين :١/ ٣٤٤ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ١٨٠، وفيه بقية بن الوليد مدلس، قال القاسمي وتعدد طرقه يقضي بحسنه كما جزم به العلائي : قواعد التحديث ٤٧ وذكره ابن القيم في مفتاح السعادة وقواه لتعدد طرقه ١/ ١٦٣. واستظهر ابن الوزير اليماني صحته وحسنه لكثرة طرقه، ونقل ابن عبد البر تصحيح الإمام أحمد له، وترجيح العقيلي لإسناده «الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم» :١/ ٢١-٢٣، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح : ١/ ٥٣.

ومن ثم ظن كثير من المثقفين ممن لا صلة لهم بعلوم الإسلام ومناهج تنقيح التراث أن الفكر الإسلامي مجرد أخلاط وأمشاج من الكلام والأفكار الملتقطة من هنا وهناك ، من ثقافة الصحف والجرائد ، وأنه علم مشرع الأبواب لحرية التفكير والتنظير ، يلجه كل أحد ، فصار كل من كتب شيئا عن الإسلام ينتظم عندهم في سلك المفكرين للإسلام والمنظرين له ، وهذا ظن العاجزين ، ممن لم يمعنوا النظر ، فليس الأمر كذلك ، إذ «ما كل مائع ماء ، ولاكل سقف سماء ، ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله »[1] بل :

للحرب أقوام لها خلقوا وللدواوين حساب وكتاب

وقد فجع المقلدون المنبهرون بكل غريب دخيل على هذه الأمة في السنين الأخيرة بهذيان «روجيه غارودي» وأفكاره النشاز التي صرح بها في وسائل الإعلام ، وكانوا قد رفعوه إلى مقام المنظرين للإسلام ، ولو وضعوا الرجل في مقامه ، لعرف قدره ، ووقف عنده .

ونحن لا نغفل من حسابنا مكر الدوائر الصهيونية به ، واستعداءها القضاء الفرنسي عليه ، لأنه من المفكرين الأحرار ، الذين فضحوا دسائس الصهاينة وأكاذيبهم التاريخية في كتابه «الأساطير المؤسسة لسياسة إسرائيل» لكن ذلك كله لا يشفع له في الجرأة على أحكام الإسلام .

فإن إحسانه هناك ، لا يسوغ أن نغضي عن إساءته هنا ، ودخوله فيما كان في غنى عنه من حشر نفسه في مضايق لايحسن الكلام فيها ، من إعادة النظر في أمر العبادات ، ومراجعة أوقات الصلوات ، واختياره رأي الشيعة في أنها ثلاثة أوقات وخمس صلوات ، ونحو ذلك ، مما استقر إجماع المسلمين على خلافه .

فعدم التمييز هذا أوقع كثيرا من المتطفلين على التراث الإسلامي في الأغاليط

---

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور للثعالبي : ٤/ ٣٣٣.

والأوهام ، ومنهم قوم من جهلة العلمانيين «كمحمود إسماعيل ، وحسن حنفي ، وأبي رية ، ومحمد شحرور ، ومحمد أحمد خلف الله ، وعلي عبد الرزاق ، ومحمد سعيد العشماوي ، وفرج فودة ، وحامد نصر أبو زيد» وغيرهم ، ممن حشروا القرآن والسنة ضمن دائرة التراث ، ووضعوا الكل تحت مجهر النقد ، بموازين عقيمة تلقفوها عن المستشرقين ك «لويس ماسينيون ، ومكسيم رودينسون ، وجولدزيهر» ممن حشو رؤوسهم بأضغاث أحلام ، وتشبعو بخرافات وأساطير عن الإسلام ، فصاروا يقطرون حقدا وسما في كتاباتهم عن الدين .

والحق أننا لو راجعنا ركام الغثاء المنشور اليوم باسم الفكر والتراث الإسلامي الذي قذفت به دور النشر التجارية من تراث الانحطاط لاضطررنا إلى إحراق نصفه حتى تستريح المكتبة الإسلامية من ثقله ، ويستريح العقل المسلم من عناء قراءته وحمله ، لما فيه من البلايا والرزايا التي أتعبت الطالب وضيعت المطلوب .

٣ـ النظر في مستقبليات الفكر الإسلامي :

فإن التراث يدرس اليوم للبناء عليه لا لاجترار حرفيات أهل زمانه ، لذلك وجب النظر في دراسة مستقبليات الإسلام ومتطلبات الأمة ، حتى لا نجتهد بعيدا عن حاجات عصرنا في المرحلة الراهنة .

وهذا يتطلب فقها للواقع ، ومواكبة لمسار التقدم العلمي والحضاري ، لدى الأمم المجاورة ، مع الإستفادة من التراث الإسلامي ، بالقدر الذي ينفعنا في واقعنا المعاصر . فقد أثر عن السلف «النهي عن الأغلوطات» [1] . وهي كما قال الأوزاعى «شداد المسائل وصعابها» وقال ابن يونس : «والأغلوطات ما لا يحتاج

(١) أخرجه أبو داود في السنن : ٣١٧١، وأحمد في المسند : ٢٢٥٧٦ ، و الدارمي في السنن : ١ / ٣٢٤، والطبراني في المعجم الكبير : ١٦٢٥٧، مرفوعا من حديث عبد الله بن سعد عن الصنابحى وهو مجهول ، وقال الساجي : «ضعفه أهل الشام» و لا يُعرف له متابع ، فهو حديث ضعيف لا يصح رفعه .

إليه من كيف وكيف» [١] .

والمراد بذلك النهي عن البحث والتنقير في المسائل التي يُغالَط بها العلماء ليزلوا فيها فيهيج بذلك الشر والفتنة .

قال المناوي : « الأغلوطات جمع أغلوطة كأعجوبة أي ما يغالط به العالم من المسائل المشكلة لتشوش فكره ويستزل ويستسقط رأيه لما فيه من إيذاء المسؤول ، وإظهار فضل السائل مع عدم نفعها في الدين ، قال الأوزاعي : « إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتهم أقل الناس علما ، وكان أفاضل الصحابة إذا سئلوا عن شيء قالوا وقع؟ فإن قيل نعم أفتوا ، وإلا قالوا دعه حتى يقع» [٢] .

وقد انقسم الناس في هذا الباب إلى طوائف فذهب قوم من أتباع أهل الحديث إلى كراهة المسائل مطلقا وسد بابها ، حتى قل فهمهم وضمُر علمهم بالوقائع والنوازل ، وزلوا في معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله ، فصار أكثرهم حامل فقه ليس بفقيه .

وتوسع طائفة من أهل الرأي في البحث عما لم يقع وأكثروا الخصومة والجدال في الدين ، حتى تولد عن ذلك أهواء وبغضاء مع ما اقترن بها من الغلو والمباهاة ، والتنقير عن الأغلوطات التي شغلت المسلمين عن واجب الوقت .

وتوسط فقهاء أهل الحديث وأئمة السلف فوجهوا هممهم إلى البحث عن معاني الكتاب والسنة وكلام السلف والنظر فيما ينفع الأمة عاجلا وآجلا دون إسراف في البحث عما لاينفع الأمة في دين ولا دنيا ، وقد كره أئمة السلف السؤال والفتوى عما ليس تحته عمل . وذلك دليل على ارتباط المسلمين «بفقه الواقع » لئلا يلهث الناس

---

(١) الإبانة الكبرى : لابن بطة : ١/ ٣٢٠.

(٢) فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي : ٦ / ٣٠١.

وراء السراب ، ويضيعوا جهودا فيما لا ينفع .

قال أبو بكر بن العربي «كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل عليهم ، أما بعد فقد أمن ذلك لكن أكثر النقل عن السلف بكراهة الكلام في المسائل التي لم تقع،وإنه لمكروه إن لم يكن حراما إلا للعلماء ، فإنهم فرعوا ومهدوا ، فنفع الله من بعدهم بذلك ولا سيما مع ذهاب العلماء ودروس العلم »[١] .

فقد جاء أعرابي في زمن عمر إلى المدينة يسأل عن غرائب العلم ، يُقال له صبيغ بن عِسل التميمي من بني يربوع ، فصرفه عمر عن ذلك ودعا بعراجين النخل وأدبه ، وأمر ألا يجالسه أحد من المسلمين .

فعن نافع مولى ابن عمر : «أن صبيغا العراقى جعل يسأل عن أشياء من القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال : أين الرجل؟ قال : فى الرحل . قال عمر : أبصر أيكون ذهب فتصيبك منى به العقوبة الموجعة . فأتاه به فقال عمر : تسأل محدثة . فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ، ثم تركه حتى برأ ، ثم عاد له ثم تركه حتى برأ ، فدعا به ليعود له ، قال فقال صبيغ : إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا ، وإن كنت تريد أن تداوينى فقد والله برأت ، فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : ألَّا يجالسه أحد من المسلمين . فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر : أن قد حسنت هيئته ، فكتب عمر أن إئذن للناس بمجالسته»[٢] .

وقد نفعه الله بذلك العلاج العمري سنين طويلة ، إذ لما خرجت الخوارج ودعوه قال : «أدبني العبد الصالح» ، فعن معمر قال : «خرجت الحرورية ، فقيل لصبيغ :

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر : ١٣ / ٢٦٣.

(٢) أخرجه الدارمي في السنن : ١٥٠ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق : ٢٣/ ٤١٠.

إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا ، قال : هيهات قد نفعني الله بموعظة الرجل الصالح ، قال وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على رجليه »[١] .

ولو تفحصنا اليوم ما اشتغل الناس به زمنا من النظريات والمذاهب والأفكار البالية ، التي ملأت كتب التراث وأثقلت رفوف الخزائن ، لظهر لنا أنه ينبغي التخلص من جزء كبير من هذا الغثاء وإزاحته من المكتبة الإسلامية ، غير مأسوف عليه ، لأنه صار عبئا يشغل مساحة في الذهن المسلم ، ويشوش على صافي المعرفة ، ويعرقل حركة الأمة نحو مستقبل حضاري كفيل بالنهوض بها بين الأمم .

وقبل الحديث عن معالم المنهج في قراءة التراث ، يجدر بنا التعريج على أشهر الانحرافات المنهجية التي وقعت لدراسي التراث ، والتنبيه على مكامن الخلل فيها ، للبناء عليها في قراءة علمية للتراث الإسلامي كفيلة بالنهوض بهذه الأمة ، وغربلة ما لديها من رصيد فكري ، يغنيها عن التسول والإستجداء الفكري لدى أمم الأرض .

*****

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف : ٢٠٩٠٧.

obeikandl.com